



وقفتُ على رصيف الأُمنياتِ

أُفْتَشَّ عن شوارد ذكرياتي

أُفَتَشَّ عن ملامح وجه طفلٍ

بريءٍ ، ذاته مُزَجَّتْ بذاتي

لقد عشنا سوياً في صبانا

فليس صفاته إلا صفاتي

وليس حنينه إلا حنيني

ولا لفَتَاتَه إلا التفاتي

وليس بكاؤه إلا بكائي

وليس شَكَأْتَه إلا شَكَاتي

ونَبْضُ فؤاده هو نَبْضُ قَلْبِي

وَأَمْنِيَاتُهُ هِيَ أَمْنِيَاتِي

لَعِبْنَا بِالثُّرَابِ وَكَانَ عِطْرًا
تُعَطِّرُنَا بِهِ كُفُّ الْحَيَاةِ

وَسَابَقْنَا أَنْتِثَاقَ الْفَجْرِ نَغْدُو
إِلَى الْمَرْعَى بِزَادِ الرَّاعِيَاتِ

لَقَدْ كَانَ الصَّغِيرُ رَفِيقَ دُرْبِي
يُقَاسِمُنِي ثَبَاتِي وَانْفِلَاتِي

فَكُمْ سَرَنَا إِلَى الْوَادِي سَوْيًا
سَوْاءٌ فِي الرَّوَاحِ أَمْ الْفَدَاءِ

شَرِبْنَا الْمَاءَ مِنْ نَبْعَ نَقِيِّ
تَنَجَّرَ مِنْ صَخْرَ مُحْكَمَاتِ

شَبِعْنَا مِنْ جَنَى عَنْبَ وَتَيْنِ
وَمِنْ أَشْجَارِ لَوْزٍ مُنْمِرَاتِ

سَمِعْنَا كُلَّ يَوْمٍ صَوْتَ جَدَّيِ
يُنَادِي بِالْأَذَانِ إِلَى الصَّلَاةِ

وَأَتَقَنَّا السِّبَاحَةَ فِي غَدَيرِ
تَكَوَّنَ مِنْ هُطُولِ السَّابِحَاتِ

فَمَا بَالُ الصَّغِيرِ يَفْرُّ مِنِّي
فِرَارَ الْأَتْقَيَاءِ مِنَ الْعُصَمَاءِ

أَفَتَشُ عَنْهُ فِي الْوَادِي فَأَلْفَى
نَسَائِمَ رُوحِهِ بَيْنَ النَّبَاتِ

وَأَلْقَى مِنْهُ عِطْرًا فِي الرَّوَابِيِّ
تَخَبَّأَ فِي الزَّهُورِ النَّاضِرَاتِ

أَفَتَشُ عَنْهُ فِي جَبَلِ وَسَهْلِ
وَأَعْشَاشِ الطَّيْوَرِ الصَّادِحَاتِ

وَفِي الْبَيْتِ الْقَدِيمِ وَقَدْ تَهَاوَى
عَلَى وَقْعِ السَّنَينِ الْمَاضِيَاتِ

فَمَا أَلْقَى سِرْوَى أَثَرَ حَزِينَ
وَقَيْضَنِ مِنْ عَيْوَنِ بَاكِيَاتِ

تدفقَ سيلُ أسلَّتِي ، فمَنْ لِي
بِأَجْوِيهِ لِقَلْبِي شَافِيَاتِ

هُنَا ، وَقَفَ الزَّمَانُ ، وَقَالَ : مَهْلًا
لَقَدْ رَحَلَ الصَّغِيرُ رَحِيلَ آتِ

مَضِيٌّ وَأَتَيْتَ أَنْتَ ، فَأَنْتَ طَفْلُ
لَأَنَّ الطَّفَلَ أَنْتَ عَلَى الثَّبَاتِ

نَعَمْ فَالطَّفَلُ أَصْبَحَ فِيَكَ شَيْخًا
وَعِنْدَكَ مِنْهُ أَقْوَى الْبَيِّنَاتِ

أَغْرَكَ أَنَّ شَيْبَكَ قَدْ تَرَاءَى
كَوَاكِبَ فِي الْلَّيَالِي الْمُظْلَمَاتِ

لَقَدْ كَبَرَ الصَّغِيرُ وَلَمْ يُبَارِحْ
مَرَابِعَ حُبِّهِ الْمُتَأَلِّفَاتِ

فَقَلْبُكَ قَلْبُهُ حُبًّا وَشَوْقًا
وَإِحْسَاسًا بِهِمِ الْكَائِنَاتِ

وَمَا إِلَّا رُوحُ طِفْلٍ
تَدَرَّجَ فِي الْحَيَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ

وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَفْتَالُ طَفَلًا
بِرِئَاتِ الْخَطَايا الْمُؤْبِقَاتِ

وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَبْقِي كَطْفَلًا
بِرِئَاءِ الْقَلْبِ مَيْمُونَ السِّمَاتِ

فَعِيشْ بِالْطَّفْلِ فِيَكَ كَمَا عَهْدَنَا

المصادر: